النظرية الوظيفية

قسم اللغة والأدب العربي

المستوى: السنة الثانية ماستر

التخصص: لسانيات عربية

مقياس: النظريات الدلالية

اعداد: د. محمد فارح

تبلور هذا الاتجاه على أيدي رواد مدرسة براغ التي يعود الفضل في تأسيسها إلى اللغوي التشيكي (فيلام ماثيسيوس 1882-1995)، وكانت هذه المدرسة تعتقد بأن جميع البنيات اللغوية من الجانب الصوتي إلى الدلالة محكومة بمجموعة من الوظائف التي تؤديها داخل المجموعة اللغوية. فالمدرسة الوظيفية إذا تتجه نحو الاعتقاد بأن اللغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجانب الوظيفي كون اللغة «عبارة عن محرك، وعلى اللسانيين أن يدركوا ما هي الأعمال التي تقوم بها المكونات المختلفة للمحرك، وكيف أن طبيعة المكون الواحد تحدد طبيعة المكونات الأخرى».

ذاع صوت المدرسة الوظيفية من خلال بيان "مبادئ دراسة أصوات اللغة" الذي شارك به مؤسسو المدرسة في المؤتمر الدولي للغويين سنة 1958م بـــ لاهاي، وتميز منهج دراستهم بدراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة، النحوية، الصرفية، الصوتية، الدلالية دراسة وظيفية محضة. وأهم روادها: فيلام ماثيسيوس، رومان جاكوبسون، أندري مارتيني.

أولا-أهم مبادئ المدرسة:

تتميز هذه المدرسة بجملة من المبادئ أهمها:

-التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة التي تتمثل في الاتصال (كيفيته، مناسبته، ولمن وجه) لأن اللغة نظام للاتصال والتعبير.

-اللغة حقيقة واقعية ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية.

-على البحث اللساني أن يحيط بالعلاقة بين البنية اللسانية والأفكار والعواطف التي توصلها هذه البنية، لأن اللغة تتصل بكثير من المظاهر العقلية والنفسية للشخصية الإنسانية.

-اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان، فلكل خصائصها المميزة.

-يجب أن يتجه البحث الفونولوجي إلى دراسة التقابلات الفونيمية ولا ينبغي فصل الظاهرة المورفولوجية عن الظاهرة الفنولوجية.

-إعطاء الأولوية للبحث الوصفي لما له من تأثير على الواقع اللساني الفعلي، دون استبعاد الدراسة التاريخية لأن النظام اللساني الكامل لا بد أن يكون تاريخيا في ضوء الوصفية

ثانيا-التحليل الوظيفي:

تعتمد هذه المدرسة مجموعة من الأنماط التحليلية أهمها:

1-التحليل الوظيفي الفونولوجي:

وهذا المستوى يسمى كذلك علم الأصوات الوظيفي، "يدرس الأصوات باعتبار وحدات ذات وظيفة لغوية تفرق بين المعاني فتميز بين الدلالات" ، فهذا العلم لا يهمه من دراسة الأصوات تلك الخصائص النطقية والفيزيائية والسمعية، وإنما يهتم بها كونها تحمل وظيفة لغوية معينة.

فدراسة الصوت أو الفونيم في هذه المدرسة يكون من جهة وظيفته لا من جهة خصائصه، ونظرية الفونيم عند (تروبوتسكوي 1890-1938) تقوم على تميز المعاني عند مقابلة فونيم فونيما آخر ، فتغيير الفونيم التاء بدل النون في لفظ تاب-ناب يحدث تغييرا في المعنى، وعليه تغيير في وظيفة الكلمة، وإن بدا أن اللفظين يحملان معنى متقارب إلا أنه في المثال التالي يدلك على تغيير المعنى جذريا في قولك: قام، نام، رام، دام، هام، صام، فانظر إلى أن كل لفظ من الألفاظ السابقة تحمل معنى بعيد عن معنى الآخر.

-التحليل التركيبي:

بنت المدرسة تحليلها للتركيب على منظور الجملة الوظيفي لفيلام ماثيسيوس الذي طبقه على اللغة التشيكية والإنجليزية وبعض اللغات الأوروبية، ويهدف إلى أن الشكل العام لمنظر الجملة الوظيفي في اللغات كلها قائم على الترتيب المفرداتي، وبنت المدرسة منهجها على أن تحليل الجمل يكون بالنظر إلى مضمونها الإخباري، فكل عنصر أساسي في الجملة له مساهمة أو دور دلالي بحسب الفاعلية التي يقوم بها في عملية الاتصال.

-يأتي الموضوع أولا.

-يليه الخبر ثانيا.

يلجأ المتكلم في بعض الأحيان إلى تقديم الخبر عن الموضوع وذلك لمقتضيات يفرضها سياق الخطاب.

من أهم مبادئ هذه المدرسة ما جاء به أندري مارتني وهو ميزة تنفرد بها الأنظمة اللسانية البشرية عن باقي التنظيمات الاتصالية الأخرى وهو التقطيع المزدوج. ويعتمد هذا التقطيع إلى أن الوحدات اللغوية تتكون من مستويين:

-التقطيع الأولي: ويتكون من الكلمات الدالة، أي المونيمات.

مثل: قاتل أهل غزة العدو قاتل/أهل/غزة/ال/عدو

انتصر المجاهدون على أهل الباطل انتصر/ال/مجاهد/ون/على/أهل/ال/باطل.

-التقطيع الثانوي: ينطلق من هذه النتيجة ليقوم بتحليل تلك الوحدات المستقلة ذات المحتوى الصوتي والدلالي إلى الفونيمات، أي أصغر الوحدات الصوتية المجردة من المعنى.

ووضع مارتني تقسيمات لتحديد العلاقة التركيبية داخل الجملة هي:

أ-اللفظة المستقلة: هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها، وتتمثل في الظروف مثل: اليوم، غدا، أحيانا، والعلاقة التي تربط هذه الوحدات بغيرها من الألفاظ قائمة على أساس دلالتها الذاتية لا باعتبار موقعها في التركيب أو تقييدها بترتيب مثل:

كُرِّم الأديب أمس. أمس كُرِّم الأديب، كُرِّم أمس الأديب.

فلفظ أمس ظهر في مواقع مختلفة دون تغيير في دلالة الجملة ولا في وظفتها.

ب-اللفظة الوظيفية: لا وظيفة لها في حد ذاتها، بل تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى، مثل حروف الجر، أدوات النصب، والجزم، نحو خرج الطالب من القسم، "من" لفظة وظيفية لا وظيفة لها في حد ذاتها، لكنها تجلب للاسم الذي يأتي بعدها -القسم- وظيفة فيعتبر اسما مجرورا.

ج-اللفظة التابعة: هي اللفظة المقترنة باللفظة الوظيفية التي تحدد وظيفتها، مثل الاسم المجرور المقترن بحرف الجر، فلفظ (القسم)، هي لفظة تابعة مقترنة باللفظة الوظيفية (من). وهناك لفظة تابعة مقيدة بالموقع تتحدد وظيفتها من خلال موقعها، فتغير الموقع يؤدي إلى تغيير وظيفتها النحوية، مثال: زارنا مدير الجامعة، فلفظ الجامعة مضاف إليه وهي لفظة مقيدة بالموقع.

د-العبارة المستقلة: تتألف من لفظة وظيفة مقترنة بلفظة تابعة، لا تحدد وظيفتها النحوية من خلال جزء واحد من عناصرها، بل من خلال تركيب العناصر مجتمعة، ومنه على سبيل الذكر: الجاء والمجرور، المضاف والمضاف إليه، الصفة والموصوف، مثاله: زرت مع أصدقائي معرض الكتاب. فعبارة (مع أصدقائي) تدل على المعية لا تفهم من خلال جزء واحد من العبارة بل من خلال ارتباط العنصرين معا، ويمكن تغيير موقعها

ه-المركب الإسنادي:

هي النواة التي تقوم على أساسها الجملة، وترتبط ارتباطا مباشرا أو غير مباشر بالعناصر اللسانية، مثال: اليوم تنتصر على العدو، فلفظ "اليوم" لفظة مستقلة، و(على العدو) عبارة مستقلة، و(تنتصر) لفظة مكتفية بذاتها قادرة على إنشاء رسالة دون أي إضافات أو الحاقات، ومن ثمة فهي تسمى المركب الإسنادي. وكل ما يضاف إليها يسمى فضلة أو إلحاقا.

مثال: اشترى الأستاذ كتبا قيمة، فلفظ كتاب مفعول به ارتبط ارتباطا مباشرا بالمركب الإسنادي له وظيفة أولية، ولفظ قيمة نعت تعلق تعلقا غير مباشر المركب الإسنادي عن طريق المفعول به وله وظيفة غير أولية.

والإلحاق عند مارتيني ينقسم إلى:

إلحاق بالعطف: وهو الذي يبقى الكلام مطابقا لبنية الجملة النواة إذا حذف العنصر الأول مثال: حضر العظماء والأشراف.

إلحاق بالتبعية: يتميز الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي، مثال: كافأته بجائزة كبيرة من المال، فلا يمكن حذف العنصر (جائزة) لأن وظيفته التركيبية مختلفة عن وظيفة العنصر التابع (كبيرة) ويشمل هذا العنصر: النعت، المضاف إليه

أهم المصادر والمراجع:

-نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة.
-السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية.
-أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور
-شفيقة العلوي، محاضرات في الدارس اللسانية المعاصرة.